عطاءٍ أعطَتْهُ عائشةُ: واللهِ لتنتهينَّ عائشة أو لأحجرنَّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟! قالوا: نعم، قالت: هو للهِ عَليَّ نَذْرٌ أنْ لا أُكلِّمَ ابنَ الزبير أبداً، فاستشفع ابنُ الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا واللهِ لا أشفّع فيه أبداً ولا أتَحَنَّثُ إلى نَذْري[1]، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المِسْوَر بن مَخْرَمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث رضي الله عنهما ـ وهما من بني زُهْرة ـ وقال لهما: أنشُدُكما باللهِ لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلُّ لها أن تنذر قطيعتي، فأقبلَ به المِسْوَر وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السَّلام عليكِ ورحمة الله وبركاته أندخلُ؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلُّنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلّكم ـ ولا تعلم أنّ معهما ابن الزبير ـ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة فطفق يناشدها ويبكي، وطفق المِسْوَر وعبد الرحمن يناشدانها إلاّ ما كَلَّمَت وقبلتْ منه، ويقولان: إن النبيَّ ﷺ نَهَى عمّا قد علمت من الهجرة، وإنه لا يحلُّ لمسلِم أنْ يهجُرَ أخاه فوق ثلاث ليالٍ. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكّرهما وتبكي وتقول: إني نذرتُ والنَّذْرُ شديد، فلم يزالا بها حتى كلّمت ابن الزبير وأعتقت في نَذْرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نَذْرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلَّ دُمُوعُهَا خِمارَها. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٥٩) عن عوف بن الحارث بن الطفيل نحوه.

وأخرج أيضاً في الصحيح (١/ ٤٩٧) عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أحبَّ البشر إلى عائشة رضي الله عنها بعد النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، وكان أبرَّ الناس بها، وكانت لا تمسكُ شيئاً مما جاءها من رزق الله إلا تَصَدَّقَتْ، فقال ابن الزبير: ينبغي أنْ يُؤخَذَ على يَدَيها، فقالت: أيُؤخذُ على يدي؟ عليَّ نَذْرٌ إنْ كَلَّمته، فاستشفع إليها برجال من قريش وبأخوالِ رسول الله ﷺ خاصَّةً فامتنعتْ، فقال له الزهريون أخوالُ النبي ﷺ منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغُوث، والمِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما: إذا استأذنّا فاقتحم الحجاب، ففعلَ، فأرسلَ إليها بعشرِ رقابٍ فأعتقتهم، ثم لم تزَلْ تعتقهم حتى بلغت أربعين وقالت: وددتُ أني جعلتُ حين حلفتُ عملاً أعمله فأفرغ منه.

إصلاح ذات البين

قصة خصومة أهل قباء وإصلاحه عليه السلام بينهم

أخرج البخاري (١/ ٣٧١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنّ أهلَ قُباء اقتتلوا حتى

(١) «لا أتحنث إلى نذري»: أي لا أكتسب فيه الحنث وهو الذنب. «النهاية» (١/ ٤٤٩).

تَرَامَوْا بالحجارة، فَأُخْبِرَ رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذْهَبُوا بنا نُصْلِح بَيْنَهُمْ» وعنده أيضاً (ص ٣٧٠) من حديثه: أَنَّ أُناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء[١]، فخرج إليهم النبيّ ﷺ في أُناس من أصحابه يصلح بينهم فذكر الحديث.

إصلاحه عليه السلام بين المتخاصمين حين زار عبد الله بن أبيّ

وأخرج البخاري (١/ ٣٧٠) عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبيّ ﷺ: لو أتيت عبدَ الله بْنَ أُبَيّ، فانطلقَ إليه النبي ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشونَ معه وهي أرض سَبْخَةٌ[٢]، فلما أتاه النبيُّ ﷺ قال: إليكَ عَنّي، واللّهِ لقد آذاني نَتْنُ حمارك! فقال رجلٌ من الأنصار منهم: والله، لحمارُ رسول الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك! فغضبَ لعبد الله رجلٌ من قومه فشتما، فغضب لكلّ واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد[٣] والأيدي والنعال، فبلَغنا أنها نزلت ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٤]. وقد تقدم في عيادة المريض حديث أسامة رضي الله عنه أخرجه البخاري وفيه: فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزَلْ رسول الله ﷺ يخفّضهم[٥] حتى سكتوا.

إصلاحه عليه السلام بين الأوس والخزرج

وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان الأوسُ والخزرجُ حَيَّيْنِ من الأنصار وكان بينهما عداوة في الجاهلية، فلما قدم عليهم رسولُ الله ﷺ ذهبَ ذلكَ وألّفَ الله بين قلوبهم، فبينا هم قُعودٌ في مجلسٍ لهم إذ تمثّل رجلٌ من الأوس ببيتٍ فيه هجاء الخزرج، وتمثّل رجلٌ من الخزرج ببيتٍ فيه هجاء الأوس، فلم يزل هذا يتمثّل ببيت وهذا يتمثل ببيت حتى وَثَبَ بعضهم إلى بعض وأخذوا أسلحتهم وانطلقوا للقتال، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأنزل الحي[٦] فجاء مسرعاً قد حَسَرَ عن ساقيه، فلما رآهم ناداهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٧] حتى فرغ من الآيات،

---

(١) وفي رواية: «شر».

(٢) «الأرض السبخة»: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. «النهاية» (٢/ ٣٣٣).

(٣) «الجريد»: غصن النخل «مختار».

(٤) [٤٩/ سورة الحجرات/ ٩].

(٥) «يخفّضهم». أي يسكّنهم ويهون عليهم الأمر، من الخفض. الدّعة والسّكون. «النهاية» (٢/ ٥٤).

(٦) كذا في الأصل، والظاهر ـ والله أعلم ـ الوحي.

(٧) [٣/ سورة آل عمران/ ١٠٢]